

جهود غانم قدوري الحمد الصوتية من خلال كتابه (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)

Ghanem Qaddouri Al-Hamad's Vocal Efforts Through his book
(Phonological Studies According to Tajweed Scholars)

م.م صبا فريد برتو * Saba.barto@uobabylon.edu.iq	صوتيات	مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية. جامعة بابل/ العراق
--	--------	---

الإرسال: 2024/06/13 القبول: 2024/10/02 النشر: 2024/10/31

**

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة كتاب قدوري المعنون (الدراسات الصوتية..)، الذي تضمن بيان وتوضيح وإمالة اللثام عن علم التجويد من مصادر الدراسات الصوتية، معتمداً على كتب علماء التجويد والإنجازات القيمة التي حققها علماء التجويد في الدراسة الصوتية. فقد استدل بكلمة (التجويد) التي لم شائعة القرن الاول الهجري، إنما هناك كلمات استعملت في عصر النبوة في بيان مفردة (التجويد) مثل: الترتيل والتحسين والتحبير والترتين التي تستخدم في بيان القراءة؛ وصرح بان كتابات القرن (4هـ) وهي بداية وظهور علم التجويد، وكانت تفتقر إلى المنهج الكامل والشامل، اما القرن الخامس الهجري فقد عُدَّ مرحلة النضج لعلم التجويد، وامتدت إلى القرن السادس أيضاً.

فقد اعتمدت دراسة النحويين المتأخرين للأصوات العربية على بيان وآراء وتفسير علماء التجويد في بيان الظواهر الصوتية ووصفها وتعليلها، وعلماء التجويد كانوا في عصر الرسالة يتكثرون على الدراسة الصوتية للنحويين، لذا سعى قدوري إلى بيان جهد علماء التجويد في المحافظة على لغة القرآن الكريم من الانحرافات التُطقيّة، عن طريق اجتناب اللحن الخفي، والتأكيد على إعطاء الحرف حقه ومستحقه. كما توصل أن علماء التجويد اتبعوا منهجاً متطوراً قياساً إلى منهج العلماء القدامى في دراسة الأصوات، لأنه منهج شامل لكل جوانب الدرس الصوتي من معرفة مخارج الحروف وصفاتها، ومعرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام. الكلمات المفتاحية: الدراسات الصوتية؛ علماء التجويد؛ غانم قدوري؛ علماء العربية.

Abstract:

This research aims to study the book of Ghanem Qadduri Al-Hamd (Phonological Studies among Tajweed Scholars), which included revealing the science of Tajweed from the sources of Arabic phonetic studies, relying on the books of Tajweed scholars and the valuable achievements made by

*- الباحث المرسل: omar96faisa@gmail.com

Tajweed scholars in phonetic study. It was inferred that the word (Tajweed) was not used in the era of Prophethood, but there are words that were used in the era of Prophethood in the meaning of the word (Tajweed), such as Intonation ,improvement ,inking ,and embellishment that are used to describe the reading. He argued that the works of the fourth century AH, which represented the stage of emergence of the science of Tajweed, lacked a complete and comprehensive approach, while the fifth century AH was considered the stage of maturity for the science of Tajweed, and it extended to the sixth century as well.

The study of Arabic sounds by later grammarians relied on the opinions of Tajweed scholars in analyzing, describing, and explaining phonological phenomena, just as Tajweed scholars initially relied on the study for grammarians. Qaddouri sought to explain the efforts of Tajweed scholars in preserving the language of the Holy Qur'an from pronunciation deviations, by avoiding hidden melody, and emphasizing giving the letter its right and due. He also concluded that Tajweed scholars followed an advanced approach compared to the approach of ancient scholars in studying sounds.

Keywords: Phonetic studies ,Tajweed scholars ,Ghanem Qaddouri ,Tajweed science ,Arabic scholars.

1 - مقدمة:

لقد ظلّ القرآن الكريم سبباً في نشأة علوم اللغة لا سيما نشأة علم النحو، وعلم الصرف وعلم الأصوات وعلم المعجم. وغير ذلك، وبسبب من ذلك ازدهرت حركة التأليف والتصنيف في الشرق الإسلامي، وقد برزت جهود اللغويين، والمقرئين، والمفسرين، والمحدثين في صدر الإسلام وفي العصر الأموي والعصر العباسي. بعدها امتدّ نور الإسلام إلى الأندلس التي أصبحت امتداداً للدولة الإسلامية، أنجبت أفذاذ العلماء، وفحول الشعراء وأساتذة المعرفة في كل ميادين العلوم العربية والإسلامية والإنسانية. فكان لعلماء العربية القدامى وعلماء التجويد وعلماء القراءات القرآنية مجهودات تشهد بدقة ملاحظتهم في وصف أصوات اللغة العربية،

وتحديد مخارجها رغم عدم وجود الأجهزة وآلات التبريح آنذاك، ولا تزال جهود الكثير منهم خاصة علماء التجويد غير معروفة الدارسين في زماننا، ولا شك في أن تلك الجهود تتضمن أفكاراً صوتية متميزة تستحق أن تُدرس وتُنشر.

وعليه تنبه الدكتور غانم قدوري الحمد إلى عدم اعتناء دارسي الأصوات العربية الجدد والمحدثين لمؤلفات (علم التجويد) وعدم استخدامها كمصدر مهم في أبحاثهم، فبدأ بجمع كتب علم التجويد المطبوعة القديمة منها والحديثة، التي يغلب عليها إيجاز العبارة غالباً، والغموض أحياناً، السبب الذي أبعد المشتغلين بعلم الأصوات عن دراستها. وبعدها أخذ يتبع فهرس المخطوطات وحصل على البعض منها، الفرصة التي أتاحت له بالبحث في تاريخ علم التجويد من جهة، والتعريف بكتبه القديمة المجهولة من جهة أخرى، والعمل على تحقيق تلك المخطوطات.

وقد ذهب غانم قدوري إلى أن هذا الكتاب يعدُّ الثمرة الأولى لأبحاث أخرى غايتها الاهتمام بالدراسات الصوتية؛ ومؤلفات علماء التجويد، وكتب كبار المؤلفين وعلماء التجويد مثل: (مكي بن أبي طالب القيسي؛ وأبي عمر؛ وعبد الوهاب القرطبي؛ ومحمد المرعشي؛ والداني جاءت لتعنى بإبراز جهودهم في الدراسات الصوتية العربية.

عبر هذا البحث يمكن إبراز الجهود الملحوظة التي قدّمها غانم قدوري، مع مراعاة الاختصار والإيجاز في العديد من موضوعات الكتاب وبحسب ترتيب المؤلف.

2- نشأته ومؤهلاته العلمية:

ولد غانم قدوري في محافظة صلاح الدين، إحدى محافظات العراق بمدينة تكريت في 11/6/1950. (قدوري. غ. ح، 2007، ص:4)؛ ثم انتقل مع أسرته إلى بيجي ونشأ فيها، وتلقّى مراحل تعليمه في مدارسها، وبعد إتمامه المرحلة الثانوية سنة 1967م، التحق بكلية الآداب في جامعة الموصل، وحصل على شهادة البكالوريوس في علوم اللغة العربية سنة 1970م (<https://www.dr-ghnim.com>)؛ ومن كلية دار العلوم في جامعة القاهرة حصل على شهادة الماجستير سنة 1976م، ومن جامعة بغداد - كلية الآداب نال على شهادة الدكتوراه سنة 1985م، وكان موضوع رسالته بعنوان: "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد".

درس على يد أساتذة وشيوخ في علوم مختلفة، كالتجويد على يد الشيخ صالح المطلوب، وفي اللغة والنحو على يد أمين علي السيد في جامعة الموصل، أما علم الأصوات أخذه عن الدكتور كمال بشر، والدكتور محمد سالم الجرح، والدكتور عبد الصبور شاهين. (<https://www.dr-ghnim.com>) كما أنّه اشتغل مهنة التدريس وأشرف على العديد من طلبة في رسائل وأطروح علمية.

أما وظائفه فقد عُين في جامعة بغداد / كلية الشريعة سنة 1976م، وبقي يُدرّس اثنتي عشرة سنة، بعدها انتقل إلى جامعة تكريت سنة 1987م. ثم عمل أستاذا زائرا في جامعة حضر موت في اليمن سنة 2001م. رجع بعدها إلى جامعة تكريت، والتحق بكلية التربية / قسم اللغة العربية. وانتخب رئيسا لجامعة تكريت سنة 2003م، ثم اعفي منه، واستمر عمله في قسم اللغة العربية حتى أُحيل إلى التقاعد سنة 2015م. وله العديد من المؤلفات في اللغة والتجويد والرسم القرآني وعلوم القرآن، وحقق العديد من الكتب إضافة إلى كتابة عدد من البحوث العلمية في مختلف العلوم.

3- هدف غانم قدوري في تأليف كتاب "الدراسات الصوتية عند علماء

التجويد" ومنهجه وقيّمته العلمية:

منذ سنوات تنبه غانم قدوري الحمد عدم اهتمام المؤلفين ودارسي الأصوات لعلم التجويد وعدم الاهتمام بهذا العلم بأبحاثهم، فبدأ بجمع كتب علم التجويد المطبوعة القديمة منها والحديثة، التي يغلب عليها إيجاز العبارة غالبا والغموض أحيانا، السبب الذي أبعث المشتغلين بعلم الأصوات عن دراستها. وبعدها أخذ يتتبع فهارس المخطوطات، فحصل على البعض منها، الفرصة التي أتاحت له البحث في تاريخ علم التجويد من جهة، والتعريف بكتبه القديمة المجهولة من جهة أخرى، والعمل على تحقيق تلك المخطوطات. في بادئ الأمر كتب بحثاً عن (علم التجويد: نشأته ومعالجه

(الأولى). ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد قدم عملاً كبيراً هو كتابة بحث لنيل درجة الدكتوراه موسوم (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)، فيه جمع المادة المطلوبة للموضوع من مكاتب العراق والبلدان الأخرى. ولم يخلُ نتبعه من بعض الصعوبات، لكون أكثر مصادره كتباً مخطوطة بعضها تحفظ في مكاتب خارج العراق، وبعضها تحتاج إلى جهد مضاعف لأجل القراءة الصحيحة، خاصة بعضها رديئة الخط. كما كان يحتاج في بعض الموضوعات إلى استعمال الأجهزة الحديثة غير المتيسرة، لتقديم نتائج واضحة ومحددة. (قدوري. غ. ح، 2007).

وإن هذا البحث لقدوري هو بداية الاهتمام الكبير بـ (التجويد) والعلماء أصحاب الاختصاص وأبحاثهم المهمة.

وقد استعمل غانم قدوري في كتابه مناهج متعددة كالمناهج الوصفي والتاريخي والمقارن، إذ قسم بحثه إلى ثلاثة فصول وملاحق ثلاثة، عالجت موضوعات لا تدرج؛ بشكل مباشر في البحث وفصوله الثلاثة. تناول الفصل الأول: (مصادر الدراسة الصوتية) وقسم إلى خمسة مباحث هي: (نشأة علم التجويد وبدء التأليف فيه، وأشهر كتب هذا العلم، أما المبحث الثالث فقد بين دراسة الأفكار التي استندت إليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، وأيضا تناول مناهج علماء التجويد، ومصطلحات العلم، وخصائص هذا المنهج، وأخيرا تناول صلة علم التجويد بعلوم القرآن وعلم اللغة).

أما الفصل الثاني فقد تناول (دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد مفردة) الذي يتضمن ستة بحوث هي: (وصف علماء التجويد لأعضاء آلة النطق، وإنتاج الأصوات اللغوية، قسّم الأصوات إلى جامدة (صامتة) وذائبة (مصوتة)، وراح يصنّفها ويصفها إلى أصوات جامدة حسب مخارجها، وتصنيف الجامدة بحسب الصفات، وأخيرا تحدث عن الأصوات الذائبة (حروف المد والحركات).

أما الفصل الثالث فقد تناول: (دراسة وتوضيح الأصوات العربية: عند علماء التجويد متصلة) وهو ثلاثة مباحث:

- 1- فكرة التأثير بين الأصوات في الكلام المتصل.
 - 2- ودراسة الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الجامدة.
 - 3- الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الذائبة.
- وأيضاً تناول ثلاثة ملاحق، تحدث في المحلق الأول:
- 1- تاريخ علم التجويد في القرن (ه4).
 - 2- أساليب القراءة.
 - 3- عيوب النطق وتحدث أيضا عن أمراض الكلام عند علماء التجويد.
- وتبرز قيمة الكتاب في أنه سلّط الضوء على الدراسة الصوتية عند علماء التجويد بالتركيز على النصوص المقتبسة من كتب علم التجويد التي تتضمن فكرة جديدة أو إضافة قيمة في دراسة الأصوات، لا سيما أنها أخذت من كتب لا يزال معظمها مخطوطا في وقتها، إضافة إلى أن غانم

قدوري اعتمد على مبدأ المساواة في المحتوى الصوتي المقتبس من كتابات علم التجويد والمادة الصوتية للعلماء القدامى منهم:

1- الخليل.

2- وسيبويه.

3- ابن جني.

إذ أنها تشكّل الأساس استندت عليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد. (قدوري، 2007م، 7-10).

4- النظرة العامة إلى كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وجهود غانم قدوري الحمد الصوتية:

1- مصادر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد (تاريخ ومنهج)

تناول غانم قدوري في هذا الفصل كتب علم التجويد منذ تأليفها حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، والتي أصبحت مجهولة عند أكثر الدارسين المهتمين بالبحوث الصوتية في هذا الوقت، ولدى المتخصصين في دراسة علوم القرآن عامة، وعلم التجويد خاصة. كما تناول منهج علماء التجويد في التأليف. وضمّ الفصل خمسة مباحث هي: نشأة علم التجويد وبدايته، والتعريف بأشهر كتب علم التجويد؛ والفكرة التي تعتمد الدراسات الصوتية عند علماء التجويد؛ منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات اللغوية؛ صلة علم التجويد بعلوم القرآن وعلم اللغة.

المسألة الأولى التي افتتح بها غانم قدوري الفصل الأول من كتابه هي (نشأة علم التجويد)، وأشار إلى أنّ التجويد كمصطلح يُعنى بدراسة

الحروف وصفاتها وتراكيبها عند (الكلام المنطوق) لم يتم التعرف عليه إلا في حدود القرن (4هـ)، أي أنه كعلم مستقل تأخر ظهوره بالنسبة لبقية العلوم كعلوم القرآن والعربية لأكثر من قرنين من الزمان (قدوري، 2007م، 15).

إذ ذهب بعض المحدثين أن نشأة علم التجويد يرجع إلى عصر الصحابة، مستندين إلى رواية وردت عند المصادر والمؤلفات المتأخرة أن الصحابي (بن مسعود) رضوان الله عليه -قائلاً: "جوّدوا القرآن.." (عمر. أ. م، 1988، ص: 95).

وتتبع غانم قدوري هذه الرواية المصادر القديمة، إذ وجد أنها تنقل على نحو آخر لا تصلح للاستشهاد، فقد جاءت (جردوا) بالراء بعد حرف الجيم وليس بالواو بعد الجيم، وهذه الرواية في الأصل تتعلق بتجريد القرآن من الزيادات المتمثلة بالعشور والخموس وأسماء السور وغير ذلك (ينظر: النشر: 3/1)؛ وبعد تتبعه لـ (معجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) لم نعثر من المواد: ج - د؛ شي لأوصاف القراءة الواضحة، وبذلك استدل بأن مفردة - التجويد- إذ لم تستخدم في القرون الأولى. (مأمون. خ، 2013، 396/1-397).

إنما هناك كلمات استعملت في عصر النبوة في معنى كلمة (التجويد) مثل: الترتيل: والتزيين: التحسين: والتجوير التي تستعمل في وصف القراءة.

أما في القرآن الكريم فلم ترد من هذه الكلمات الأربع سوى كلمة الترتيل. (سورة الفرقان: الآية 32).

وفي الوقت الذي ظهر فيه علم التجويد كعلم مستقل ظهرت كلمة التجويد بمعناها الاصطلاحية. إذ قال ابن الجزري وهو يترجم لأبي مزاحم الخاقاني قائلاً: "أول من صنف في التجويد...، وقصيدته الرائية مشهورة، وشرحه الحافظ...". (الجزري، 2006م، ص: 321/2).

فقد ذكر الخاقاني قسماً من المواضيع إذ تُعد جزءاً من التجويد وعلمه، إذ أصبح للقصيدة بصمة واضحة للاحقين في التجويد وعلمه، وعثرنا ممن استفاد منها ومنهم من عارضها. (قدوري، 2002م، ص: 339-365) ورغم أنها تُعدّ الأولى في المصنفات المستقلة للتجويد وعلومه، إذ لم تستخدم مفردة التجويد، وهذا يدل على أن المصطلح لم يكن شائعاً آنذاك. فإن أول من استعمل هذا المصطلح هو: علي بن جعفر السعدي أبو الحسن (ت 410هـ) (الجزري، 2006م، ص: 321/2)، وبعدها شاع استعماله بشكل واسع. (قدوري، 2002م، ص: 339-365).

• لكن عند تتبع غانم قدوري لكتاب الفهرست لابن النديم (ت 385هـ) الذي ذكر مئات الكتب المؤلفة في علوم القرآن، لم يعثر على مؤلفات عن التجويد وعلمه، وهذا يدل على أن علم التجويد خطأ خطواته الأولى في القرن الرابع الهجري. (ابن النديم، 2009م، ص: 3).

ظهرت في القرن الخامس الهجري أعظم المؤلفات في: علم؛ التجويد
مثل:

1- كتاب الرعاية: القيسي (ت437هـ) لمكي بن أبي طالب.

2- الداني (ت444هـ): التحديد لأبي عمرو عثمان بن سعيد.

وكان لهذه الكتب اتجاهان هما: الاتجاه العام، وهو الغالب في التأليف الذي يُعنى بمعالجة جميع الموضوعات المتعلقة بعلم التجويد، والخاص الذي يُعنى بمعالجة موضوعاً واحداً مع التعمق في دراسته بشكل مفصل، كالكتب المؤلفة في أحكام النون الساكنة والتنوين، والكتب التي تُعنى بمعالجة موضوع الضاد.

أشار غانم قدوري إلى أن علماء العربية القدامى قد سبقوا علماء التجويد في دراسة الأصوات، بطريقة تناسب مع حاجات الموضوعات التي يعالجونها. (قدوري، 2007م، 46)؛ كالعين للخليل بن أحمد الفراهيدي، والكتاب لسيبويه، وسر صناعة الإعراب لابن جني. بمعنى أن الدراسة الصوتية سابقاً لم تكن تهدف إلى بيان النظام الصوتي للغة العربية. في الوقت نفسه لاحظ قدوري أن اتجاهاً جديداً برز عند النحاة المتأخرين، وهو اتجاه تعليمي بأنهم وضعوا سبباً للبحث في الأصوات التي يتكلم بها غير العربي؛ بالأصوات العربية، وهنا يظهر تأثيرهم بجهود علماء التجويد، كأبي حيان الأندلسي الذي حدد غاية الدراسة الصوتية عند النحاة.

وواضح المقدسي قائلاً: " قال.. أبو حيان.. صفات الحروف لفائدتين: إحداهما لأجل الإدغام،.. والفائدة الثانية وهي الأولى في الحقيقة بيان الحروف العربية حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي، وهو كبيان رفع الفاعل ونصب... كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها لما روي من العرب في النطق.. " (المقدسي، 1989م، ص: 6).

أما دراسة علماء التجويد الصوتية، فارتبطت بشكل أساس بمعالجة ما سموه اللحن الخفي الذي يُقسّم إلى أقسام اثنين:

1- هو اللحن الجليّ: وهو من الخطأ الظاهر داخل الحركات الخاصة؛ وهو ميدان عمل النحاة والصرفيين.

2- أما اللحن الخفي: فهو من الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها بالنطق ومن المخارج؛ والصفات وما يطرأ عليها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق؛ وهو ميدان عمل علماء التجويد. (قدوري، 2007م، ص: 47).

وأول من قسم اللحن الخفي ابن مجاهد (ت 324هـ)، وتحدث الداني (ت 444 هـ). عن اللحن الخفي إلا أنه لم يطل الوقوف عند هذه القضية. (الداني، 2010 م، 10.4). أما القرطبي (ت 462هـ) فقد كان أكثر علماء التجويد عناية بفكرة اللحن الخفي، إذ جعلها أساس كتابه (الموضح في التجويد). (القرطبي، 2001م، 19-20).

وظلت هذه الفكرة موضع اهتمام علماء التجويد المتأخرين.

وذهب غانم قدوري إلى أن سبب اهتمام علماء التجويد بالدراسات الصوتية؛ في القرآن الكريم ولظهور اللحن الخفي، وحاولوا معالجة مشاكل اللحن، وتصحيح النطق بها من خلال دراسة أصوات اللغة دراسة شاملة وتحديد صور النطق الصحيحة، ورصد الانحرافات المتوقعة في نطقها. (قدوري، 2007م، ص: 55).

وبعدها تناول منهج علماء التجويد الذي جاء منهجاً شاملاً لكل الفصول المتضمنة بعلم الصوت النطقي، يعني صوت واضح وخالص. فقد حدد المرادي الإطار العام للدراسة الصوتية عند علماء التجويد وهي أربعة أمور "معرفة مخارج الحروف، معرفة صفاتها، ومعرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام، وأخيراً رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار." (قدوري، 2007م، 57-58).

وقد أبرز في كتابه قضيتين: الأولى: تخصيص علماء التجويد كتباً مستقلة لبحوثهم الصوتية، وهي كتب علم التجويد. والثانية: أن الكتاب وعلماء التجويد برزوا أبحاثهم وخاصة: بالصوت، وجاءوا بتسمية جديدة وهي علم التجويد وليس علم النحو؛ أو الصرف أو القراءات.

واستوعب وفهم علماء التجويد الفرق بينهم وبين العلوم الأخرى؛ كما تنبه غانم قدوري إلى أن مؤلفات القرن الرابع الهجري:

1- قصيدة أبي مزاحم (ت 325 هـ).

3- السعيدي (ت حدود 410 هـ) بكتابه: (التنبيه على اللحن الجلي

والخفي) التي تمثل مرحلة نشأة علم التجويد، كانت تفتقر إلى المنهج

الكامل والشامل، فقد ابتدعها مؤلفوها ابتداءً، وأصبحت أمثلة للمؤلفين من بعدهم، محاولين إكمال نقصها والتمثل بعباراتها. (قدوري، 2007م، ص: 73).

وعدّ القرن الخامس الهجري مرحلة النضج لعلم التجويد متمثلة:

1- القيسي (ت 437 هـ) وكتابه: الرعاية لمكي.

3- الداني (ت 444 هـ) بكتابه: التحديد.

4- القرطبي (ت 462 هـ): بكتابه: الموضح .

امتدت إلى القرن السادس أيضاً. أما مؤلفات القرن السابع والثامن الهجريين فقد خفتت نزعة الإبداع فيها، وهي مرحلة جمع الآراء والموازنة بينهما. وكان آخر كتب علم التجويد التي وقف عندها غانم قدوري هو كتاب (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة)، ولاحظ أن كثيراً مما ورد في الكتاب لا يمت إلى علم التجويد بصلة، إذ قال: " وهو من أكبر كتب.. التجويد حجماً... ناتجاً عن تراكمات واستطرادات، كثير منها لا يمت إلى التجويد بصلة، وإني ألاحظ فيه مع ذلك اتجاهات.. ما يأتي: أولاً: رجوع المؤلف إلى كتب التشریح .. وثانياً: قائمة المصادر..، وألحقها... كان الثاني منهما شكلياً جديران بالذكر. " (قدوري، 2007م، ص: 74).

ووصف الكتاب بأنه كبير من حيث الأوراق 217 ورقة وشكلاً وغيرها.

كما لاحظ غانم قدوري أنّ دراسة النحويين المتأخرين للأصوات العربية، استطلت واستندت على علماء: التجويد من حيث تحليل الظواهر الصوتية وتعليلها وصفها، أسلوب علماء التجويد نفسه في بادئ الأمر، فقد استندوا على الدراسة الصوتية للنحويين. وقد تقاسم علماء العربية وعلماء التجويد دراسة

الأصوات العربية، علماً أن المؤلفين وعلماء اللغة لم يؤلفوا كتاباً مستقلاً للتجويد، كما ارتبطت بحوثهم الصوتية بالموضوعات التي يعالجونها. أما علماء التجويد فقد خصصوا كتباً وبحوث مستقلة، وكان الموضوع أشمل وأوسع عندهم.

لكن هذا لا يغير من أن علم التجويد تنطبق عليه الصفة المزدوجة في ارتباطه بعلوم العربية وعلوم القرآن ومستمد مادته منهما، قال غانم قدوري عن التجويد العربية، كما أننا إذا نظرنا إلى كون هذا العلم يرتبط بقراءة القرآن... إنه من علوم القرآن.

5- الأصوات ودراستها عند علماء التجويد: مفردة: على مستوى التحليل:

قام علماء الأصوات اللغوية على تحليل السلسلة الكلامية إلى وحداتها الأساسية المفردة، وبيان كيفية إنتاجها، وتوضيح صفاتها الصوتية. كما وصفوا أعضاء النطق، وبيان دور كل عضو من أعضاء النطق في إنتاج الصوت، وتصنيف: الأصوات باعتبارات متعددة؛ لتوضيح خصائص الأصوات لصوت عند النطق به: منفرداً؛ واتبع علماء التجويد هذا النهج بالاعتماد على المستوى التحليلي والمستوى التركيبي.

في هذا الفصل يبين غانم قدوري مجهودات العلماء وتناجاتهم في دراسة: أصوات العربية على المستوى التحليلي، إذ يهتم بالتمعن ودراسة المفردة مستقلة عن السلسلة الكلامية، وبيان الصفة الصوتية. فقد قسم الفصل إلى عدة مباحث متعلقة بالحروف والحركات وهي:

1- وصف أعضاء آلة النطق.

2- إنتاج الأصوات اللغوية.

3- تصنيف الأصوات اللغوية إلى جامدة وذائبة.

4- تقسيم الأصوات الجامدة: حسب المخارج.

5- تقسيم الأصوات الجامدة: حسب الصفات.

6- أما الأصوات الذائبة: دراسة مخارجها وصفاتها.

لقد أشار غانم قدوري أنه من الواجب على دارس الأصوات معرفة (أعضاء النطق) التي تُعدّ الحجر الأساس لوصف الأصوات وتصنيفها، وهذا ما فعله علماء التجويد الذين أدركوا دور أعضاء النطق في تكوين الأصوات، وتمكنوا منها وخاصة ما لا يقع تحت النظر؛ والملاحظة الذاتية. ولاحظ أن علماء التجويد اختلفوا في استعمال مصطلح (جهاز النطق) فمنهم من استعمل مصطلح (آلة النطق) (القرطبي، 2001م، 157)، ومنهم من استعمل مصطلح (أعضاء آلة النطق) (القيسي، 1996م، 103)؛ وهذا يدل على جهودهم في الموضوع. كما أنهم تميزوا بدراسة أعضاء النطق عن سابقين من علماء العربية بعدة نواحٍ أهمها:

1- تم وصف كل أعضاء النطق.

2- تبين الاستعانة اللازمة بعلم التشريح.

3- تم تهيئة مبحث كامل لوصف بعض أعضاء النطق.

4- تم الاستعانة بالرسوم التوضيحية.

لقد ذكر علماء التجويد أعضاء النطق ووصفوها، وحدد بعضهم أعضاء آلة النطق إجمالاً (القيسي، 1996م، 40)، وأوضح الاسترابادي وهو أكثرهم

تحديداً بقوله: " .. آلة الحروف - وأعني بآلتها مواضع تكونها في اللسان والحلق والسن والنّطع والشفة، وهي المسماة بالمخارج - لم تختلف الحروف، إذ لا شيء هناك يمكن اختلاف الحروف بسببه إلا مادتها وآلتها." (الاستراباذي، 1975، 3 / 251) ونقل غانم قدوري قول الاستراباذي، الذي عاش بعد مكي القيسي وعبد الوهاب القرطبي، على الرغم من أنه من علماء العربية، إلا أنّ كلامه مكملًا لكلامهم، ويرى الدكتور أن كلام علماء التجويد يتكامل مع كلام علماء العربية في دراسة الأصوات العربية. كما اعتمد علماء التجويد على الملاحظة الذاتية لوصف أعضاء النطق، إلا أنّ المتأخر منهم استعان بكتب الطب وخاصة كتب التشريح، وتعدّ هذه الظاهرة جديدة تستحق الذكر. وأيضاً حدد متقدمو علماء التجويد فصلاً مستقلاً لوصف أعضاء النطق في أثناء كلامهم عن مخارج الحروف، ومنهم: المرعشي (1737م): الذي جعل من الفصل الرابع لكتابه (جهد المقل) وتوضيح الأسنان في الإنسان، (35-36) وهذا ما نجده عند المحدثين.

كما استعمل علماء التجويد الرسوم التوضيحية لبيان مخارج الحروف، وتوزيعها على أعضاء النطق، وأقدمهم ابن وثيق الأندلسي (ت 654هـ) الذي أورد رسماً تخطيطياً مبسطاً يمثل الحلق واللسان والشفتين. لقد جاء وصف علماء التجويد لأعضاء النطق وصفاً صحيحاً وتاماً لأكثر الاعضاء، عدا (الحنجرة) على الرغم من أنهم عرفوها وأدركوا تأثيرها، إلا أنهم لم يتمكنوا من وصفها وصفاً كاملاً؛ لأنها لا تقع تحت النظر.

6- إنتاج الأصوات اللغوية

أدرك علماء التجويد بأن كمية الهواء المندفع من الرئتين هو الأساس لتكوين الأصوات؛ اللغوية، ويُعدّ المرعشي أول من ذكر هذه القضية بقوله: "الغالب تلفظ الكلم مع إخراج النفس؛ وأما تلفظها .. ويقبح به الصوت عند الجهر.. بخلاف ذلك عند الإخفاء.. تصرّيحاً في هذا الباب." (بساجقلي، ز، 2008م، ص 101).

وقد استند غانم قدوري على أربعة نصوص توضح موقف علماء التجويد من العمليات النطقية التي تؤدي إلى إنتاج الأصوات اللغوية، وخروج الهواء، وأثناء مروره على أعضاء آلات النطق، فيكون أصواتاً متباينة، واستنتج وجود جملة أمور وردت في هذه النصوص يمكن إجمالها في:

1- النفس والصوت.

2- الصفة والحرف والمقطع والمخرج.

3- الجهر والهمس.

4- الشدة والتوسط والرخاوة.

ويعدّ النفس ركن الصوت، ولا يسمى صوتاً حتى يكون مسموعاً، ويتحقق ذلك بالإرادة وقوة الدفع، إذ تبين بأن الأصوات اللغوية تتكون وتخرج من الرئتين من النفس الخارج وليس الداخل لها.

ورغم عدم معرفة علماء التجويد بالوترين الصوتيين؛ إلا أنهم أدركوا بالملاحظة الذاتية دور الحنجرة في إصدار الأصوات اللغوية، وسمّوا النغمة الصوتية التي يصدرها الوتران الصوتيان (صوت الصدر)، والحرف الذي

يصاحب هذه النغمة، وأما الحرف الذي لا؛ يصاحب تلك النغمة مهموساً. (قدوري، 2007، ص: 133).

كما حدد أهل التجويد مخارج الحروف بكل دقة، وأدركوا تأثير حاله ممرات الهواء أثناء خروجه، وكمية اختلاف الأصوات وأنواعها، فإذا احتبس الصوت؛ كلياً أثناء خروج الحرف أصبح شديداً، أما إذا لم يحتبس كان رخواً، ويصبح متوسطاً إذا أصبح بين صفتي الشدة والرخاوة. وسموا تلك الكيفيات المكونة للصوت بـ (الصفات) اقتداءً بتسمية علماء العربية من قبلهم. كما توصلوا إلى أن النون والميم خاصة تُعتمد في الفم أو الشفتين مع اتخاذ الهواء مجراه من الأنف وتسمى بالأنفية أو الخيشومية لمرور النفس من الخيشوم.

7- تصنيف الأصوات اللغوية إلى جامدة وذائبة (أو إلى صامتة ومصموتة): صنّف علماء الأصوات المحدثون الأصوات اللغوية إلى (صامتة ومصموتة) (أنيس. إ، 2007، 26) & (سعران. م، د.ت: ص: 160) إلا أن غانم قدوري وبعد دراسته لعدد من كتب التجويد رُحِّح استعمال مصطلحين آخرين هما: (الجامد والذائب)، وتسمى أيضاً (الجامدة والذائبة) و (الذائبة والذوائب)، وهذه المصطلحات لم يشر إليها علماء الأصوات العربية، بينما استعملها علماء التجويد بما يقارب من ألف سنة، ولم يشركهم في استخدامها أحد من علماء العربية، الذين على الأغلب استعملوا مصطلحي (الحروف والحركات) وهما لا يعبران عن هذا التصنيف بدقة. ونسب المحدثون قصور علماء العربية في دراسة الأصوات العربية، وفقاً لهذا التصنيف، وهنا بين غانم

قدوري من خلال بحثه (المصوتات عند علماء العربية) الخطأ الذي وقع فيه بعض المحدثين، من خلال عرض أقوال علماء العربية كالحليل، وسيبويه، والمبرد وابن جني، وابن سينا، لمناقشة الموضوع. (الفراهيدي. أ، 1980، 57/1) & (سيبويه، 1982، 176/4).

فقد ورث علماء التجويد هذه الجهود في تصنيف الأصوات من علماء العربية، إلا أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل كانت عندهم جهوداً أخرى بتوجهات جديدة، عبرت عن تصنيف الأصوات السابقة (قدوري، 2007م، 138).

8- : تقسيم وتصنيف الأصوات الجامدة (بحسب المخارج):

أولاً: ماهي أعداد الحروف العربية عند أهل التجويد:

أشار غانم قدوري إلى اتفاق علماء العربية والتجويد على تقسيم الحروف العربية:

(أصل وفرع) وهذا التصنيف يرجع إلى سيبويه كما ذكر ابن سينا (ابن سينا، 1966م، 51/1). وهي خمسة وثلاثون حرفاً فروعاً، وأصلها من التسعة والعشرين، منها المستحسنة في قراءة القرآن والأشعار، وتكون اثنين وأربعين بحروف غير مستحسنة في قراءة القرآن ولا في الأشعار، ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته. (ابن سينا، 1966م، 51/1).

وقد استطاع علماء التجويد إضافة شيء آخر إلى ما أقره سيبويه، هو أنهم ساروا بالقول إلى أن حروف العربية الأصول واحد وثلاثون حرفاً، وذلك حينما يكون الواو والياء حرفي مدّ مرة، وحرفي لين مرة أخرى. (القرطبي، 2001م، 101).

كما تناول المرعشي المعروف بساجقلي في مقدمة كتابه (جهد المقل) عدد الحروف الأصول والفروع، إذ قال: "... فهي تسعة وعشرون ... فهم يجعلون الألف المدية غير الهمزة، ويجعلون الواو والياء حرفين ... والمبرد منهم جعل؛ الألف والهمزة حرفاً واحداً.. الحروف الأصلية ثمانية وعشرون ... أقول (المرعشي): وكذلك ينقسم كل من الواو والياء ... " (بساجقلي. ز، 2008م، ص ص: 35-36).

أما الحروف الفرعية فقد أدرك علماء التجويد حقيقتها، كما أدركوا أنها لا تدرك إلا بالمشافهة معتمدين على قول سيويه (لا تبين إلا بالمشافهة)، وأساس تقسيمه لهذه الحروف منها: مستحسنة، ومستقبحة إماماً لكثرة الاستعمال أو قلته، فإذا زاد استعماله في لغة إذا ارتضت عربيته كان (مستحسناً)، من جهة، وأما إذا ضعف استعماله كان (قبيحاً).

9- بيان عدد الحروف العربية ومخارجها عند علماء التجويد:

استعمل أهل التجويد كلمة - المخرج - الموضع الذي ينشأ منه الحرف. (القرطبي، 2001م، 101)، وقد استعمله القدامى أيضاً مع كلمات أخرى مثل (حيز ومدرج)، (الأندلسي. أ، 1984، 12/1) ورغم اعتماد علماء التجويد على بيان سيويه لمخارج الحروف لشعورهم بدقته واتقانه؛ إلا أنهم اضافوا ووضحوا ما كان غامضاً.

• ذهب سيويه إلى أن عدد المخارج ستة عشر مخرجاً، (سيويه، 1982م، 433/4) وتماشى معه أكثر علماء اللغة. (الأندلسي. أ، 1984،

(5/1: والعدد الكبير من علماء التجويد. (القيسي، 1996م، 118) &

(الداني، 2010م، 101) وآخرون...

إلا أن بعض علماء التجويد جعلوا المخارج أربعة عشر مخرجاً، ومن المتأخرين من جعلها سبعة عشر مخرجاً. وقد ذكر غانم قدوري المذاهب العامة في تحديد مخارج الحروف العربية من علماء العربية، والتجويد والمحدثين أيضاً. كما أشار إلى قضية أخرى شغلت أهل التجويد كثيراً، وهي أمر تناسق الحروف التي تخرج من مخرج واحد.

إذ خرج بخلاصة (أن الأصوات التي تخرج من مخرج واحد يمكن ان ترتب في داخل ذلك المخرج.. على الصوت المجهور، وأن الصوت المنفتح؛ يكون متقدماً على الصوت المطبق... لا يحمل الدارس على جعل مخرج مستقل : لكل صوت من تلك الأصوات المشتركة في مخرج واحد) (قدوري، 2007م، 63).

أما ترتيب المخارج فقد رتبها علماء العربية وعلماء التجويد ترتيباً تصاعدياً ابتداء من أقصى نقطة في آلية النطق (أقصى الحلق) وانتهاء بالشفيتين، أما المحدثون فقد اتبعوا الترتيب المعاكس؛ أذ بدأ بالشفيتين، وانتهى بأقصى الحلق؛ وهم بذلك يتشبهون بعلماء الأصوات الغربيين. قدوري، 2007م، 164)؛ ولم يغب عن علماء التجويد هذه القضية فقد بينوا طريقتين لترتيب المخارج، وذهب غانم قدوري إلى أن علماء العربية وعلماء التجويد اختاروا الترتيب التصاعدي والمحدثون اختاروا الترتيب التنازلي، وكلاهما يؤدي إلى نتيجة واحدة، كأي قضية ذات طرفين بدايتها طرف ونهايتها إلى الطرف الآخر.

1- تبيان أهم مخارج الحروف العربية (علماء التجويد) أمموذجا:

يُعدّ كلام سيبويه عن الأصوات اللبنة الأولى التي استندت إليها أبحاث علماء العربية والتجويد، إلا أن علماء التجويد لم يكتفوا بتحديد ما جاء به سيبويه في المخارج وتفسيره، بل إنهم حاولوا مناقشة بعض وجهات نظره، ومنها إخراج الألف من حروف الحلق، فكثير منهم اعتبر حروف الحلق ستة بإخراج الألف منها. (قدوري، 2007م، 190)، وهذا ما أيدته الدراسات الصوتية الحديثة باعتبار الألف من الأصوات الذائبة. كما خصص علماء التجويد مخرجاً مستقلاً لحروف المد (الألف والواو والياء)، فقد كانوا مدركين ما نتصف به الأصوات المدية من اتساع مخارجها وحرية مرور الهواء أثناء النطق بها، وذهب جمهور منهم إلى أنّ الفتحة من الألف، والكسرة من الياء والضمّة من الواو. وأشار غانم قدوري إلى تفريق علماء التجويد بين مخرجي الواو والياء الجامدتين وبين مخرجي الذائبتين جاء صحيحاً، وقد أقرته الدراسات الحديثة. كما أن ربطهم بين الحركات وبين حروف المدّ كان صحيحاً أيضاً، لأن الفرق بينهم قائم على الكمية. إذن فقد عدّ علماء التجويد المخارج الخاصة بالأصوات الجامدة خمسة عشر مخرجاً، وهناك مخرج إضافي للنون الخفية، أما الأصوات الذائبة فإنّ لها مخرجاً مستقلاً وهو الجوف.

وتوصل غانم قدوري إلى أن كلام علماء التجويد جاء مؤكداً لما جاء به سيبويه، بثبوت النتائج المبهرة التي انتهى إليها، ووضح جزءاً من الحقائق ودراسة مخارج الحروف.

كما ساروا على ترتيب سيبويه للحروف، إلا أن هناك قضية تتعلق بورود حرف الضاد قبل حروف؛ وسط اللسان منها -ج ش ي- قال غانم قدوري في هذا: "... لا يخلو من احتمال تصحيف النسخ .. كما أن الذين نقلوا ترتيبه للحروف من علماء العربية وعلماء التجويد جعلوا ترتيب النسق -ج ش ي- ض- " (قدوري 2007، 193).

2- تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات

إن توضيح الخصائص الصوتية بين الأصوات يعتمد على تحديد مخارج الحروف وعلى الكيفيات التي تصاحب إنتاج كل صوت، وتم تسميتها من قبل علماء العربية والتجويد: بصفات الحروف. وقد ذهب علماء التجويد إلى أن المقصود من صفات الحروف: "صفة الحروف؛ كيفية عارضت للحرف عند حصوله في المخرج..." (قدوري، 2007م، 195).

وأشار غانم قدوري إلى أن أهل التجويد كانوا مدركين؛ بأن صفة الصوت: ليست منفصلة عن الصوت، بل هي شيء أساس؛ لا ينفصل عن عملية تكونه في المخرج.

كما كان لهم اتجاهان أرساهما الرواد الأوائل من كبار علماء التجويد، كمكي بن أبي طالب القيسي الذي وصل بصفات الأصوات إلى أربعة وأربعين لقباً. (القيسي، 1996م، 113)، وأبو عمرو الداني الذي اقتصر على ستة عشر صفة من صفات الأصوات. (الداني، 2006م، 104)، ولم يخرج علماء التجويد عما قرره الداني، إلا في بعض القضايا الجزئية.

كما قسم علماء التجويد الصفات إلى صفات مميزة وصفات محسنة، وكان المرادي أول من ذهب هذا المذهب. وأشار غانم قدوري إلى أن تصنيف

صفات الحروف هي أفضل ما جاء به دارسوا الأصوات العربية المتقدمون؛ لإدراكهم العميق بين خصائص الأصوات وصفاتها. كما كانوا مدركين لظاهرة التقابل بين الأصوات. فقد انحصرت الأصوات المميزة في الجهر والهمس، والشدة والرخاوة والتوسط بينهما، والاطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال، والذلاقة والإصمات. فقد قام علماء التجويد بدراستها وبيان المشكلات الصوتية التي نتصل بها.

وبعض علماء التجويد اعتمدوا في تقسيم الأصوات على ما له ضد وما ليس له ضد. (القيسي، 1996م، 192) & (الداني، 2006، 104) (وآخرون). والبعض الآخر اعتمد في تقسيمها إلى ذاتي وعارض. (المصري، م. ع، 2004، 58).

وعند تناول علماء العربية وعلماء التجويد الحروف المجهورة والمهموسة وصفوا الهمزة والقاف والطاء بأنها مجهورة، وهذا لا ينطبق مع ما تقرره الدراسات الصوتية الحديثة اليوم، وقد ناقش غانم قدوري هذه القضية بثلاثة احتمالات:

- 1- احتمال أنهم اخطأوا بوصف هذه الأصوات.

- 2- احتمال أنهم وصفوها بأنها مجهورة ثم تغيرت وصارت مهموسة.

- 3- الاحتمال الأخير أنهم وصفوا ما كان سائداً من الأصوات آنذاك مجهورة ولا سيما الطاء والقاف.

وبعد عرضه لآراء علماء العربية وعلماء التجويد لوصف الطاء العربية توصل إلى أن حرف -الطاء- العربية القديمة لم تبق على خصائصها الصوتية، فقد لحقها الهمس وأصبحت تاء مطبقة، وفي بلدان أخرى أصبحت تمثل الضاد.

وقد أكد قدوري ذلك خلال وروده في نصوص العلماء القدامى كسيبويه، في قوله: "لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً." (سيبويه، د.ت ، 4/436)
تقف بقوة في وجه احتمال الخطأ في وصف الطاء بالجهر .

أما قضية القاف فقد توصل قدوري إلى أن علماء العربية وعلماء التجويد انتبهوا إلى أن نطق القاف يشبه (الكاف لمجھورة) في اللهجة العربية التي غلبت على لفظنا ونطقنا في الوقت الحاضر. ففي اللغة الدارجة (العامية) تمثل القاف عند أهل القاهرة في لغتهم العامية حرف الجيم .

وعندما وصف سيبويه: (ق) بأنها صوت مجهور قصد بذلك (الكاف المجھورة) إذ أنه حدد (ق) بنقطة أعمق من النقطة التي تخرج منها (ك) (سيبويه، 4/433)، وبعد عرضه لنصوص علماء العربية وعلماء التجويد وتفسيره لأقوال سيبويه قال: "نقوله باطمئنان هو أن في نطقنا الفصح اليوم صوت مهموس... وأن وسائلنا الآن عاجزة عن تفسير هذا الوصف على نحو أكيد". (سيبويه، 4/433)

وبعد حديثه عن مشكلات هذه الأصوات التي أثارها وصف علماء العربية وعلماء التجويد بأنها مجھورة، وهي ليست كذلك الآن. فقد بين موقف بعض علماء التجويد الذين كانوا مدركين للتحويل الذي أصاب صوت الطاء حتى صار صوتاً مهموساً.

أما صوت الضاد فهو رخو عند علماء العربية وعلماء التجويد، وإلى جانب أنه -مجهور- مستطيل ومطبق؛ فإنه عد صوتاً غريباً عند قلة من المحدثين لعدم وجوده في العربية، كما أنه اختفى في النطق. ففي مصر ينطق دالاً مفخمة، وفي العراق صار لا يختلف عن الظاء في شيء. وقد أشار علماء التجويد إلى

قضيتين الأولى: صعوبة نطق الضاد. والثانية اختلاطها بالطاء. وخلص غانم قدوري آراء علماء التجويد في الضاد بقوله: "الضاد صوت صعب الأداء، ومن ثم أخذت السنة الناس تنحرف في نطقه إلى صوت آخر... يتحول الضاد إلى صوت واحد، بل نجد أن الناس نطقوا الضاد على أشكال مختلفة وهي الطاء، اللام المفخمة، الطاء، مزجها بالذال، وإشمامها بالزاي..." (قدوري، 2007، 174) فالضاد التي بينها سيويوه- بداية حافة اللسان وما يليها، من الأضراس، لم تعد تنطق منذ زمن بعيد.

وكان لعلماء التجويد المشاركة الواضحة والكبيرة في دراسة مشكلة الضاد، إذ اتبعوا منهجاً صوتياً في معالجتها، عكس علماء اللغة والنحاة الذين اتجهوا نحو إحصاء الألفاظ التي يرد فيها الضاد والطاء فقط. إضافة إلى تأليفهم الكثير من الكتب التي تتسم بالدقة لجوانب هذه المشكلة.

3- الأصوات الذائبة

عني علماء- التجويد بتعلم الأصوات الذائبة وهي: -حروف المدّ والحركات- بتخصيص دراسات وبحوث مستقلة لبحثها، ومن حيث طريقة دراستها. تتكون الأصوات الذائبة من الحروف الثلاثة: الألف والواو والياء، وتكون حركة ما قبلهما من جنسهما:

- الفتحة من الالف.
- الكسرة من الياء
- والضمة من الواو.

ومجموعة الأصوات الذائبة الأساس في العربية وموازية ومتقابلة لمجموعة الأصوات الجامدة، فقد أدرك علماء التجويد أن هذه الأصوات اتصفت باتساع في المخرج، وحرية دوران ومرور الهواء عند النطق. كما أدرك البعض منهم مدى العلاقة بين الحركة والحرف. وربطوا بين مخارج حروف المدّ وبين الحركات التي عدت شيئاً صحيحاً؛ لأن لا فرق بينهم إلا في الكمية، إذ تبين أن زمان نطق حروف المدّ؛ ضعف زمان- نطق الحركات.

كما ميزوا بين القيمة الصوتية للواو والياء عندما تكونان حرفي لين، وعندما تكونان حرفي مدّ مرة أخرى. وأشار غانم قدوري بعد إدراجه لنصوص علماء التجويد وتفسيرها، إلى أن المحدثين لم يقدموا شيئاً مميزاً في دراسة الأصوات الذائبة على ما قدمه علماء التجويد، خاصة في مجال تحديد مخارجها التي تعدّ انجازاً متميزاً؛ وذلك لعدم تعمقهم بدراسة كتب علماء العربية، وأيضاً عدم الاطلاع على كتب علماء التجويد.

4- دراسة الأصوات العربية؛ متصلة عند علماء التجويد -على مستوى التركيب-

حظي موضوع تعلم -الظواهر الصوتية- الناشئة؛ عن التركيب والتغيير الذي لحقها؛ بسبب المجاورة، بعناية علماء العربية القدامى عامة وعلماء التجويد خاصة، الذين عالجوا هذا الموضوع بعمق وبشكل واسع. فقد أدرك شيوخ التجويد أن الأصوات إذا تعدت الكلمة المفردة أو الكلام المتصل تعرضت مكوناتها بتغيير جزئي أو كلي؛ بحسب طبيعة

الصوت وما يجاوره، لغرض السهولة والاقتصاد في الجهد، والعدول عن الأثقل إلى الأخف، وهذا ما أقره المحدثون حول نظرية السهولة إذ أصبحت تؤدي لتطور اللغات.

ووصف علماء التجويد الظواهر الصوتية التركيبية وصنفوها بشكل مفصل كظاهرة الإدغام، والإبدال، والإمالة، والروم، والإشمام، والمد، والإشباع، والاختلاس. كما تناولوا مصطلح التريق مقابل مصطلح التفخيم، الذي لم يرد عند سييويه ومن تبعه من علماء اللغة، فضلاً عن توظيفهم لمصطلحات الإدغام التام، والإدغام الناقص، والإدغام الصغير، والإدغام الكبير، الذي لم يرد عند العلماء القدامى.

أما ظاهرة المد فقد اعتنى علماء التجويد بها عناية كبيرة، فقد وضخوا وعللوا وقسموا وبالغوا في التقسيم، ومنهم مكي القيسي حين تحدث عن حروف المد.

كما تنبه غانم قدوري إلى أنهم أشاروا إلى بحث وموضوع مهم، ويبدو أن عددًا قليلاً تصدى له: وهو مراعاة -أحكام المد- مما ليس ضرورياً في النطق العربي، بل تكون ملزمة بقراءة كتاب الله فقط، أي أن المد ثابت في كلام العرب غير أن قراءة القرآن إذ يجب أن توفى بكل الشوط والإيقان فيها، ومخارج الحروف أن تعطى حقها من الأحكام الخاصة بها.

قال مكي القيسي: " والهمزة؛ إذا وقعت بعد حرف المد واللين- لك أن تدع إشباع المد في الكلام، فتقول: صائم وقائم بغير إشباع،.. فأما في القرآن فلا بد من إشباع المدّ.. " (قدوري، 2007م، 447).

كما أوضحوا الشوائب الصوتية التي تلحق بعض الأصوات بسبب المجاورة كالجهر والهمس، والإطباق، والانفتاح، والأنفية.

ويدل ذلك على الحس المرهف والملاحظة الدقيقة التي كانوا يتمتع بها علماء التجويد.

إذن؛ فقد توصل غانم قدوري إلى أن عناية علماء التجويد بعملية تأثر الحروف بعضها في بعض يدل على حسهم المرهف وملاحظتهم الدقيقة، فإن هذه الظواهر الصوتية لا يقف على حقيقتها إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، كما أن تحليلهم لهذه الظواهر الصوتية وتوضيحها، وتحذير الناطقين منها دليل على معرفتهم وخبرتهم الصوتية. (قدوري، 2007م، 349).

*- خاتمة:

1- استدل غانم قدوري بأن التجويد كلمة ومفردة لم تستخدم في عصر النبوة، وهذا ما ذهب إليه بعض المحدثين. إنما هناك كلمات استعملت في عصر النبوة تؤدي المعنى نفسه (التجويد) مثل:

- الترتيل.
- التحسين.
- التحبير.
- التزيين.

وهي كلمات تستعمل في وصف القراءة. أما في القرآن الكريم فلم ترد من هذه الكلمات الأربع، سوى كلمة الترتيل.

2- تنبه غانم قدوري إلى أن مؤلفات القرن (4هـ) تمثل مرحلة نشأة علم التجويد، وكانت تفتقر إلى المنهج الكامل والشامل، فقد ابتدعها مؤلفوها ابتداءً، وأصبحت أمثلة للمؤلفين من بعدهم، محاولين إكمال نقصها والتمثل بعباراتها. وعدّ القرن الخامس الهجري مرحلة النضج لعلم التجويد، وامتدت إلى القرن السادس أيضاً. أما مؤلفات القرن السابع والثامن الهجريين، فقد خفت نزعة الإبداع فيها، وهي مرحلة جمع الآراء والموازنة بينهما. وكان آخر كتب علم التجويد الذي وقف عنده غانم قدوري كتاب (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة)، ولاحظ أن كثير ما ورد في الكتاب لا يمت بعلم التجويد بصلة.

3- لاحظ غانم قدوري أن دراسة النحويين المتأخرين للأصوات العربية، استندت إلى رأي أصحاب وعلماء التجويد في تصنيف الظواهر الصوتية ووصفها وتعليلها، مثل علماء التجويد الذين كانوا في بادئ الأمر يعتمدون على الدراسة الصوتية للنحويين.

4- سعى غانم قدوري إلى بيان جهد علماء التجويد في المحافظة على لغة القرآن الكريم من الانحرافات النطقية، بالمحافظة على الأصوات العربية الفصيحة عن طريق اجتناب اللحن الخفي، والتأكيد على إعطاء الحرف حقه ومستحقه.

5- صنف علماء الأصوات المحدثون الأصوات اللغوية إلى (صامتة ومصموتة)، إلا أن غانم قدوري وبعد دراسته لعدد من كتب التجويد رجح استعمال مصطلحين آخرين وهما (الجامد والذائب)، وتسمى أيضاً (الجامدة والذائبة) و(الذائبة والذوائب)، وهذه المصطلحات لم يشر إليها علماء الأصوات العربية، بينما استعملها علماء التجويد بما يقارب من ألف سنة، ولم يشركهم في استخدامها أحد من علماء العربية، الذين على الأغلب استعملوا مصطلحي (الحروف والحركات) وهما لا يعبران عن هذا التصنيف بدقة.

6- أشار غانم قدوري إلى أن علماء العربية وعلماء التجويد اختاروا الترتيب التصاعدي، واختار المحدثون الترتيب التنازلي، وكلاهما يؤدي إلى نتيجة واحدة.

7- كما توصل إلى إنَّ منهج علماء التجويد منهج متطور قياساً إلى منهج العلماء القدامى في التمعن بتعلم الأصوات، إذ أنه شامل؛ من معرفة مخارج الحروف وصفاتها، ومعرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

8- أن الفارق بين حروف المدّ والحركات قائم على كمية الصوت وزمنه الذي يستغرقه، إذن لا فارق بينهما إلا في الكمية والزمن.

9- توصل غانم قدوري إلى أن عناية علماء التجويد بعملية تأثر الحروف بعضها في بعض يدل على حسهم المرهف وملاحظتهم الدقيقة، فإن هذه الظواهر الصوتية لا يقف على حقيقتها إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، كما أنّ تحليلهم لهذه الظواهر الصوتية وتوضيحها، وتحذير الناطقين منها دليل على معرفتهم وخبرتهم الصوتية.

**

1- المصادر والمراجع:

- ابن الطحان. (1984). *مخارج الحروف وصفاتها*. تحقيق: د. محمد يعقوب تركستاني. ط1. بيروت: مركز الصحف الالكتروني.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق. (2009). *الفهرست*. تحقيق: أيمن فؤاد سيد. ط1. بيروت: دار المعرفة.
- ابن جني، عثمان، الموصلبي. (د.ت). *الخصائص*. ط4. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن سينا. (1966). *أسباب حدوث الحروف*. روسيا: (تفليس) دار النشر متسنياربا.
- الأستراباذي، الرضي. (1975). *شرح شافية ابن الحاجب المؤلف*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأندلسي، أبو حيان. (1998). *ارتشاف الضرب من لسان العرب*. تحقيق: د. رجب عثمان محمد. ط1. القاهرة: مكتبة الخالجي.
- أنيس، إبراهيم. (2007). *الأصوات اللغوية*. ط5. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بساجقلي، زادة محمد بن أبي بكر. (2008م). *جهد المقل*. تحقيق: سالم قدوري الحمد. ط2. عمان: دار عمّار.
- بشر، كمال، محمد. (2010). *علم الأصوات*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجزري، محمد بن محمد. (2006). *غاية النهاية في طبقات القراء*. تحقيق: ج برجستراسر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الداني، عثمان بن سعيد الأندلسي. (2010). *التحديد في الإيثار والتجويد*. تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط2. الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع.
- السعران، محمود. (د.ت). *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- سيويوه. (1982). *الكتاب*. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. ط2. القاهرة: مكتبة الخالجي القاهرة & الرياض: دار الرفاعي.

- شيحا، خليل مأمون. (2013). *المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي*. ط1. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- عمر، أحمد، مختار. (1988). *البحث اللغوي عند العرب*. ط 6. القاهرة: عالك الكُتب.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1985). *العين*. تحقيق: د. مهدي الخزومي & د. إبراهيم السامرائي. العراق: منشورات وزارة الثقافة.
- قدوري، غانم (الحمد). (2002). *أبحاث في علم التجويد*. ط1. الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع.
- (2007). *الدراسات الصوتية عند علماء التجويد*. ط2. الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع.
- القرطبي، عبد الوهاب. (2001). *الموضح في التجويد*. تحقيق: د. غانم قدوري الحمد. ط2. الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع.
- المرادي، ابن قاسم. (د.ت). *شرح الواضحة في تجويد الفاتحة*. تحقيق: د. عبد الهادي الفضلي. بيروت: دار القلم.
- المصري، محمود بن علي. (2004). *العميد في علم التجويد*. ط1. تحقيق: محمد الصادق قحواوي. الإسكندرية: دار العقيدة.
- المقدسي، علي بن غانم. (1989). *بغية المرئاد لتصحيح الضاد*. تحقيق: محمد جبار المعبيد. ط2.

2- رسائل جامعية

- علي جواد كاظم الحسيني. (2011). "البحث الصوتي عند غانم قدوري الحمد". العراق: جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الإنسانية.

3- مواقع إلكترونية

- الموقع الرسمي للشيخ غانم قدوري الحمد على شبكة الإنترنت-<https://www.dr-ghnim.com>